جَائحَة كورونا بين التَّفسير العِلميّ والفَلْسَفيّ

الباحث/ محمد مجدى يوسف
لدرجة الدكتوراة بقسم الفلسفة كلية الاداب جامعة المنوفية

تمهيد:-

تسبَّب فيروس كورونا، بنسقه السَّريع في الانتشار وظهوره المُفاجِئ، في وقوف العَالَم عاجِزًا أمام علاجه، وعليه تحوَّلت حياة ملايين البَشَر على وجه الأرض إلى حجرٍ صحيٍّ لا إراديّ، ترتَّب عليه تعطيل، بل توقُّف تام لمعظم الأنشطة الاقتصاديَّة في العَالَم، وترتَّب على ذلك أيضًا إثارة مجموعة كبيرة من التساؤلات الفَلْسَفيَّة ذات الأبعاد العِلميَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وحتى الأخلاقيَّة. يبدو أن فيروس كورونا من اللحظات الكُبرى والمهمة، وربما المفصليَّة في تاريخ البشريَّة التي تطلب قراءات واسعة على المستوى العِلميّ والفَلْسَفيّ. فمن وجهة نظر العِلْم، لا تزال أصول فيروس كورونا موضع شَكٍّ، وسلوكه غامض. فقد رُصِدَت تحرُّكات الفيروس التي أكَّدت أن الفيروس في تصرفَّاته مثل أي ميكروبٍ لم تشهده البشريَّة من قَبل، في حين توصَّل علماء آخرون إلى أن الفيروس التاجيّ الجديد الذي تسبَّب في الجَائحَة لم يُصمَّم أو يُعالَج في المُختبَر، وكان نتيجة قفزة حيوانيَّة طبيعيَّة. وعلى الرَّغْم من إدعاءات العلماء البارزين بأن فيروس كورونا ظَهَرَ بشكلٍ طبيعيٍّ بلا شَكٍّ، فإن مُسبِّبات هذا الفيروس التاجيّ تظل سؤالًا مُلِحًّا ومفتوحا.

على الوجه الآخر، فإن الوباء من وجهة النظر الفَلْسَفيَّة، يفرض على الجميع تحدِّيًا فِكْريًّا، لأنه يتعيَّن علينا أن نتصرَّف واضعين نُصْب أعيننا محدوديَّة معرفتنا، لا سيَّما الحكومات أيضًا، يجب عليها اتخاذ قرارات واضعة نُصْب أعينها محدوديَّة معرفة علماء الفيروسات الذين يُقدِّمون لها المشورة، وهذا ما سيكون له أثرٌ إيجابيٌّ فيما بعد على الوعي العام. ولا شَكّ أيضًا أن صدمة وباء كورونا فضحت زَيْف العَالَم الذي نعيش فيه، وبيَّنت مدى هشاشة العولمة التي اُختُزلت في شبكة المُعاملات دون تضامن، واعتمدت بشكلٍ كبيرٍ على الاندماج والتواصل التقنيّ والاقتصاديّ للعَالَم، لكنها غفلت عن بناء جسور للتفاهم بين الشُّعُوب، وعليه أسقطت فضائل الصداقة والتسامح والتعاون. وبصدد هذا، فإن وباء كورونا يضعنا اليوم أمام أنفسنا وأمام حقائق تتعلَّق بهُويَّتنا الإنسانيَّة في عَالَمٍ استهلاكيٍّ متوحِّشٍ.

من جانبٍ آخر أيضًا، تعرَّضت العديد من النواحي التي أَلِفناها في حياتنا اليوميَّة إلى التشتُّت، نتيجة انتشار حالة من عدم اليقين، والسُّيُولة، والخَوْف. فقد جاءت ظاهرة الجَائحَة بتغيُّراتٍ غير مسبوقةٍ أثَّرت في جميع مناحي الحياة المختلفة، والأهم من ذلك أنها أحدثت شَرْخًا في المخيال السُّوسيولوجيّ لفَهْم كيف أن الأنساق الاجتماعيَّة المختلفة عبر الثقافات وداخل الثقافات الفرعيَّة في المجتمع الواحد، تتفاوت في فَهْم الصحة والاعتلال وإعادة إنتاج الحياة، وكيف تتفاوت في تحديد سُبُل المواجهة

عندما تتغيَّر البيئة البيولوجيَّة بشكلٍ غير مألوفٍ مُسبقًا، وأخيرًا كيف أن النظريات الكُبرى ومساهمتها قد تعجز عن إيراد تفسيرات لذلك.

أولًا: التَّفسيرات العِلْميَّة لجَائحَة كورونا:-

نُعَدّ مدينة "ووهان Wuhan" في الصين "China" هي محور الاهتمام العَالميّ، بسبب تفشّي مرض تنفُّسيٍّ تسبَّب في تفشّي فيروس كورونا الجديد n COV-2019. ففي ديسمبر ٢٠١٩ حَدَثَ تفشّي لالتهابٍ رئويٍّ مجهول السبب في مدينة ووهان بمقاطعة هوبي "Hubi" في الصين، وقد أرجعت مُنظَّمة الصحة العالميَّة (WHO) ذلك إلى وجود عاملٍ مُشتركٍ يُعَدّ سببًا في تفشّي هذا الوباء(١). وبناء عليه نُشِّطَ نظام المُراقبَة الذي وُضِعَ مُسبقًا بعد تفشّي السارس كوف SARS- COV، وأُرسِلت عيِّنات من الجهاز التنفُّسيّ للمرضى إلى المُختبرَات المرجعيَّة لإجراء تحقيقات مُسبَّبة، وفي ٣١ ديسمبر ٢٠١٩ أبلغت الصين مُنظَّمة الصحة العالميَّة بتفشّي المرض(٢).

وبعد إجراء التحقيقات استُبعِدَ SARS- COV، MERS- COV، H5N1، وغيرها من فيروسات الجهاز التنفُّسيّ الشائعة، كما تمكَّن العلماء الصينيون في غضون أيامٍ، تحديدًا في السابع من يناير ٢٠٢٠، من عزل nCOV- 2019 من مريضٍ، وأُجريَ تسلسُل الجينوم لـ nCOV- 2019 وأصبح مُتاحًا لمُنظَّمة الصحة العالميَّة في الثاني عشر من يناير ٢٠٢٠، مما ترتَّب عليه تسهيل إجراء اختبارات PCR التشخيصيَّة في المُختبرَات في مختلف البُلدان، والكشف عن العدوى الجديدة nCOV- 2019(٣).

وتشير تحليلات علماء الوراثة إلى أن SARS- COV-2 ربما يكون ظَهَرَ من دورة حيوانيَّة المنشأ وانتشر من الإنسان إلى الإنسان(٤). وأشاروا إلى أن هذا الأصل الحيوانيّ المنشأ لـ SARS- COV-2 يرتبط ارتباطًا وثيقًا بسوق الحيوانات الرطبة في "يونان Yunnan"، لأن عددًا كبيرًا من الأشخاص يذهبون بشكلٍ دائمٍ إلى هذه السوق. وعلى الرَّغْم من أن المصدر الدقيق لـ SARS- COV2 لم يُحدَّد بشكلٍ

(1) Hui Davids, *The Conting 2019- ncov epidemic Threat of novel corona viruses to global health the latest 2019 novel corona virus out break in Wuhan , China* (EISEVIER, Nether Lands, 2020) P. 264

(2) Upadhyay Sighn. K, A.K, Iram Ansari, Sanower, *Covid- 19 Adreaded Pandemic Disease* (Losr JPBS, New York, 2020) P. 38

(3) Hui Davids, *The Conting 2019- ncov epidemic Threat of novel corona viruses to global health*, Op. Cit, P. 264

(4) Saxena Shailendrak, Kumar Swatantra, Mavrya Vimalk, Sharma Raman, Dandu Himan Shur, Bhait Madanl B, *Current in Sight into The Novel Corona Virus Disease 2019 in "Medical Virology: From Pathogenesis to Disease Control Corona Virus Disease 2019* (Epidemiology, Pathogenesis, Diagnosis and Thera Peutics, Spiringer, U.K, 2020) P. 4

دقيقٍ، فإنه كان هناك الكثير من المحاولات من قِبَل الباحثين، لتحديد العائل الأساسيّ أو الناقلات الوسيطة التي قد تُسبِّب نقل العدوى إلى البَشَر. وعليه، فإن بعضًا من نتائج الباحثين تؤكّد وجود تشابه جينيّ بنسبة تعادل أكثر من ٩٥% بين SARS- COv-2، وفيروس الخفافيش التاجيّ Bat Coronavirus. مما يُزيد من احتماليّة أن الخفافيش تُعَدّ مُضيفًا أو مُستودعًا للفيروسات، وإلى جانب الخفافيش أُبلِغَ عن العديد من المُضيفات الحيوانيَّة الأخرى كمُستودَعٍ للفيروسات أيضًا، على سبيل المثال، أظهرت الثعابين أنها قد تكون مُستودَعًا مُحتمَلًا للعدوى البشريَّة، وكذا البنجولين، وأيضًا حيوان المنك مُضيفًا لـ SARS- COV-2[٥].

وعلى المستوى العِلميّ أشار فريقٌ من الباحثين على مدار العشرين عامًا الماضية، عَبَرَ العديد من فيروسات كورونا حاجز الأنواع إلى البَشَر، مما تسبَّب في تفشّي أمراض الجهاز التنفُّسيّ الحادة والمُميتَة في كثيرٍ من الأحيان، ومنذ أن تُعرِّفَ على فيروس SARS- COV لأوَّل مرَّة في أسواق الحيوانات، اكتُشِفَت مشاريع الفيروسات العالميَّة لآلاف المتواليات لفيروس كورونا في حيواناتٍ ومناطق جغرافيَّة متنوِّعة، ولسوء الحظ هناك عدد قليل من الأدوات المُتاحة لاختبار هذه الفيروسات وظيفيًّا، لقدرتها على إصابة البَشَر، مما أعاق بشدة الجهود المبذولة للتنُّبؤ بالانتشار الفيروسيّ الحيوانيّ التالي، ومن هذا المُنطلق قام العلماء بتطوير نهج لفحص نِسَب فيروسات بيتا كورونا B Corona Virus سريعًا، مثل SARS- COV، SARS- COV2، لاستخدام المُستقبِلات وقدرتها على إصابة أنواع الخلايا المختلفة[٦]. وأظهر العلماء أن معالجة البروتياز المُضيف أثناء الدخول الفيروسيّ يُمثِّل حاجزًا كبيرًا للعديد من الفيروسات ذات النَّسَب (B)، وأن تجاوز هذا الحاجز يسمح للعديد من فيروسات النَّسَب (B) بدخول الخلايا البشريَّة من خلال مُستقبِل غير معروفٍ، وتوضِّح أيضًا كيف يمكن لفيروسات النَّسَب (B) المختلفة أن تتحد للدخول إلى الخلايا البشريَّة، وأن الإنزيم المحوِّل للأنجيوتنسين- ٢ (hACE2)، وهو مُستقبِل فيروس SARS- COV-2 الناشئ مؤخَّرًا[٧].

وكشفت دراسة أخرى عن التعايُش المتنوِّع لفيروسات SARS- COV في مجموعات الخفافيش التي تقطن كهفًا واحدًا في مقاطعة "يونان Ynann" في الصين، وهذه تُعَدّ أوَّل معلومة تتعلَّق بـ ACE2 البشريّ كمُستقبِل لفيروس كورونا الخفافيش

(5) Yadav Tushar, Saxene Shailendrak, *Transmission Cycle of SARS- COV and SARS-COV2 in "Medical Virology: From Pathogenesis to Disease Control Corona Virus Disease 2019* (Epidemiology Pathogensis, Diagnosis and Thera Peutics, Springer, U.K, 2020) P. 38

(6) Paraguassu Ebercoelho, Junchen Hui, Zhoufei, Wang Zhexue Meiyun, *Corona Virus and Covid- 19: The Latest News and View from The Scientific Community about The New Corona Virus and Covid- 19* (Bjihs, Brazil, 2020) P. 99

(7) Ibid, P. 101

الشبيه بالسارس. علاوة على ذلك، فإن جينوم الفيروس التاجيّ يخضع في كثيرٍ من الأحيان إلى إعادة التركيب، مما يشير إلى احتمالٍ كبيرٍ لظهور فيروس سارس جديد من خلال إعادة تركيب الخفافيش SARS- COV2 الموجودة في نفس كهوف الخفافيش، كما تَمَّ التكهُّن وقتها من قِبَل فريق العلماء، بإنتاج سلف مباشر لـ SARS- COV عن طريق إعادة التركيب داخل الخفافيش، ثُمَّ بعد ذلك انتقل إلى الزباد، ونُقِلَ هذا الزباد المحتوي على الفيروسات إلى سوق قوانجدونج، حيث أصاب قط الزباد السوق وتحوَّر أكثر قبل أن يُصيب البَشَر، ويقترح التحقيق من قِبَل علماء الوراثة عن كوف الجديد (n COV) وجود عِدَّة أحداث انتقال عبر الأنواع، ومع ذلك فإن هذه الأحداث كانت عابرة لم يُلقَ لها بال، لكن ما يشير إليه هذا التواتر من الأحداث كما يرى فريق العلماء، هو أن الخفافيش هي خزَّانٌ حيويٌّ لإعادة التركيب والتطوُّر لفيروسات كورونا[٨].

ويبدأ مسار الخروج لجميع فيروسات B- Corona بالحمض النوويّ الريبيّ الجينيّ الفيروسيّ RNA المُركَّب حديثًا والمُغطَّى ببروتينات (N) الفيروسيَّة، ويتبرعم في تجويف (ER) والمقصورة الوسيطة لـ (ER)، ينتج عن هذه جزيئات فيروسيَّة مغلَّفة بأغشيةٍ مُضيفةٍ تحتوي على بروتينات هيكليَّة عبر غشاء فيروس (S, M, E) تنتقل جزيئات الفيروس إلى جهاز (Golgi) و Golgi (TGN) من أجل الارتباط بالجليكوزيل، وتعديلات أخرى بعد الترجمة، ولكن بعد جهاز (TGN) Golgi افتُرِضَ أن فيروسات كورونا تَستخدِم حويصلات من مسار إفراز التخليق الحيويّ لتتبُّع غشاء البلازما والخروج على غرار فيروسات RNA المغلَّفة الأخرى، كفيروس التهاب الكبد، وفيروس حُمَّى الضنك، وفيروس غَرْب النيل[٩].

وعلى الرَّغْم من الادِّعاءات البارزة للعِلْم بأن فيروس SARS- COV2 ظَهَرَ بشكلٍ طبيعيٍّ، فإن مُسبِّبات هذا الفيروس التاجيّ تظل سؤالًا مُلِحًا، وإلى الآن لا تزال أصول فيروس SARS- COV2 موضع شَكٍّ وسلوكه غامض. فقد أُبلِغَ عن أن الفيروس يتصرَّف مثل أي ميكروبٍ لم تشهده البشريَّة من قَبل، ورغم تأكيد فريق من الباحثين على أن الفيروس التاجيّ الجديد الذي تسبَّب في الجَائِحَة الحالية لم يُصمَّم أو يُعَالَج في المُختبَر، وكان نتيجة قفزة حيوانيَّة طبيعيَّة، فإن هذا التأكيد فشل في تفسير جميع الأصول المُحتمَلة، وذلك لوجود خاصيتين جينوميتين فرديتين عُثِرَ عليهما في SARS- COV2، كما أنه يتجاهل التاريخ الطويل للمرور التسلسُليّ كطريقٍ لمُعالجة جينومات الفيروسات، وتُعَدّ المُمَارَسة طويلة الأمد للمرور التسلسُليّ هي شكل من أشكال البحث عن اكتساب الوظيفة، والذي يفرض انتشار الأمراض الحيوانيَّة بين

(8) Yadav Tushar, Saxene Shailendrak, *Transmission Cycle of SARS- COV and SARS-COV2*, Op. Cit, P. 37

(9) Ibid, P. 4

الأنواع ويتطلَّب نفس التكيُّفات الجزيئيَّة اللازمة لقفزة حيوانيَّة طبيعيَّة داخل المُختبَر، تاركًا وراءها نفس التوقيعات الجينيَّة، مثل القفزة الطبيعيَّة، ولكنها تحدث في فترةٍ زمنيَّة أقصر بكثير(١٠).

وعلى وجهٍ آخر من التحليلات العِلْميَّة، أكَّد فريقٌ من العلماء أنه لا يوجد دليلٌ مُتاح حتى الآن على أن أصل كوفيد- ١٩ هو سوق المأكولات، ويُقتَرَح أن تكون الخفافيش مستودعًا مُحتمَلًا، والتي أكَّدها تسلسُل الجينوم. بالإضافة إلى ذلك، أظهر التحليل الوراثيّ ومُحاذاة تسلسُل البروتين أنه عُثِرَ على بقايا مُستقبلات ACE2 المُماثِلة في العديد من الأنواع الأخرى، مما يُفسِّر احتمالات وجود مُضيفات وسيطة بديلة، مثل الثعابين، والسلاحف، والبانجولين، وأيضًا الأشخاص الذين سافروا إلى ووهان أو حدث بينهم وبين الأشخاص الذين زاروا ووهان اختلاطٌ وطوروا هذه العدوى الفيروسيَّة ونقلوها في جميع أنحاء العَالَم، ومن المُحتمَل أن يكون مهرجان الربيع في الصين بووهان سببًا وراء هذا الانتقال السريع لفيروس SARS- COV2 في جميع أنحاء العَالَم، حيث حضره آلاف الأشخاص. ابتداءً من ٢٥ مارس ٢٠٢٠ سُجِّلَ ٦٩١٧٦ حالة إصابةٍ بـ Covid 19، و٦٨٢٠ حالة وفاةٍ في إيطاليا، وفي الولايات المتحدَّة سُجِّلَ ٥٤٦٨ حالة جديدة مع ٧٨٤ حالة وفاة، وبعد ذلك ازداد الوضع سوءًا في جميع أنحاء العَالَم ما عدا الصين(١١).

والحقيقة كما يراها الباحثون أنه من دون دمج الآثار التاريخيَّة والبيولوجيَّة للمرور الفيروسيّ المتسلسل، إما من خلال حيوانات المُختبَر في الجسم الحي، وإما من خلال مزارع الخلايا في المُختبَر، يستحيل إجراء تقييم شامل لها إذا كان SARS-COV2 ناتجًا عن تسريبٍ معمليٍّ، أو قفزة حيوانيَّة طبيعيَّة، وعلى الرَّغْم من أن بعض الأبحاث تُشير إلى أن SARS COV2 نشأ بشكلٍ طبيعيٍّ، فإن هذه الأبحاث تتجاهل بشكلٍ عام سيناريو المُمَارَسة المُستخدَمة على نطاقٍ واسعٍ للمرور التسلسُليّ المختبريّ، وهذا السيناريو الأخير يستحق تحقيقًا شاملًا، وخاصةً أن المرور المُتسلسل عبر مُضيفٍ حيوانيٍّ يفرض ببساطة نفس العملية الجزيئيَّة التي تحدث في الطبيعة أثناء القفزة الحيوانيَّة المصدر، والمرور في المُختبَر عبر ثقافة الخلية يُحاكي العديد من عناصر هذه العملية ولا يترك بالضرورة أي آثارٍ جانبيَّة(١٢).

وعلى المستوى الإجرائيّ، لقَّح فريقٌ من الباحثين SARS- COV2 المأخوذ من عينات البلعوم والأنف على خلايا Vero (وهي سُلالة من الخلايا المُستخدَمة في مزارع الخلايا) بغرض الكشف عن هيكل التشكيل الخاص بفيروس كورونا SARS-

(10) Sirotkin Karl, Sirotkin Dan, *Might SARS- COV-2 Have Arisen Via serial Passage Through an Animal Host or Cell Culture?* (Wiley, U.S.A, 2020) P. 11

(11) Ibid, P. 8

(12) Sirotkin Karl, Sirotkin Dan, *Might SARS- COV-2 Have Arisen Via serial Passage Through an Animal Host or Cell Culture?* Op. Cit, P. 2

COV2، فبعد إتمام عملية التلقيح وإضافة ٢% بارفورمالدهيد، ٢,٥% جلوتار الدهيد، أُجريَ الفحص الإلكترونيّ بعد ثلاثة أيامٍ من الإصابة، والذي كَشَفَ عن هيكل التشكيل الخاص بالفيروس، وهو عبارة عن أحجام من جزيئات فيروسيَّة تتراوح من ٧٠ إلى ٩٠ نانومتر تحت مجموعةٍ من العضيَّات داخل الخلايا، وعلى وجه التحديد في الحويصلات، ونظرًا للتشابه العالي في التسلسُل، يُفتَرَض أن يكون هيكل SARS-COV2 هو نفسه SARS- COV، أما عن البروتين السطحيّ والغشاء المغلّف لفيروس كورونا، فهو متضمَّن في الطبقة الدهنيَّة المزدوجة المُشتقَّة من الغشاء المُضيف والتي تُغلّف قابس النوويَّة الحلزونيَّة، والتي تشتمل على الحمض النوويّ الريبيّ الفيروسيّ(١٣).

ويُشفَّر جينوم SARS- COV2 أربعة بروتينات هيكليَّة مُشابهَة لفيروسات الكورونا الأخرى، وهي مطلوبة لصنع جزيء فيروسيّ كامل، وعند الدخول إلى الخلايا المُستهدَفة للمُضيف تُقدَّم المستضدات الفيروسيَّة عبر الخلايا العارضة للمستضد (APC2) إلى الخلايا التائيَّة السَّامة للخلايا (CTL) الخاصة بالفيروس، وحتى الآن لم تُجرَى دراسات تكشف عن عرض الببتيد، ومع ذلك فقد تَمَّ التنبُّؤ بحلقات (CTL) لـ SARS- COV وذلك من خلال العديد من الدراسات، والتي يُمكن استخدامها لفَهْم الآليَّة المرضيَّة وتطوير اللقاحات القائمة على الببتيد(١٤).

ومن مضاعفات جَائحَة كورونا البكتيريَّة الناتجة عن أزمة مُقاوَمة "المُضادات الحيويَّة Anti Biotics"، فعلى الرَّغْم من أن كوفيد- ١٩ ليس بكتريا وإنما فيروس، ولا يتأثَّر بالضِدّ حيويَّات، فإن التقارير الأوَّليَّة من المستشفيات تشير إلى أن نسبة عالية جدًا من المرضى أُصيبوا نتيجة علاجهم بعقار المضاد الحيويّ في إطار التصدي للالتهابات الثانويَّة الناجمة عن أمراض الجهاز التنفُّسيّ، أو بسبب الإقامة بالمستشفيات، كما أن كثرة من الناس يتناولون العديد من أنواع المضادات الحيويَّة من تلقاء أنفسهم ظنًا منهم أنها توفر لهم الحماية من الإصابة بالفيروس، لكن على العكس من ذلك، قد يؤدِّي الاستخدام المُفرط من دون إشراف الطبيب إلى تكيُّف البكتريا، إذ لا يمكن القضاء عليها، مما قد يسبَّب في أزمةٍ كبيرة وخطيرة في الوقت

(13) Kumar Swatantra, Nyodu Rajni, Maurya Vimalk, Saxena Shailendrak, *Morphology, Genome Organization, Replication, and Pathogenesis of Severe Acute Respiratory Syndrome Coronavirus, [SARS- COV-2] in "Medical Virology: from Pathogenesis to Disease control Corona Virus Disease 2019 Epidemiology, Pathogenesis, Diagnosis and Therapeutics* (Springer, U.K, 2020) P. 25

(14) Saxena Shailendrak, Kumar Swatantra, Mavrya Vimalk, Sharma Raman, Dandu Himan Shur, Bhait Madanl B, *Current in Sight into The Novel Corona Virus Disease 2019*, Op. Cit, P. 4

نفسه[١٥]. ففي الولايات المتحِدَّة يموت شخصٌ واحد على الأقل كل ١٥ دقيقة نتيجة الإصابة بعدوى بكتيريَّة، لم تَعُد المضادات الحيويَّة قادرة على مقاومتها، ويتضخَّم العدد ليصل إلى سبعمائة ألف حالة وفاة سنويًّا على مستوى العَالَم، وسوف يزداد العدد تضخُّمًا إذ لم نكن بالغي الحذر الآن[١٦].

ثانيًا: الرؤى الفَلْسَفيَّة لجَائحَة كورونا:-

في خضم جَائحَة كورونا "Corona Virus" يكشف الوباء الحجاب عن الخفايا التي حجبتها قوانين الرأسماليَّة، والتي عَصَفت بالفرد وأفضت به إلى كائنٍ مُغتَربٍ عن ذاته، تتحكَّم فيه قوى الاستهلاك، والتي أدَّت في النهاية إلى ازدياد الفجوة بينه وبين كل معاني الحياة والسعادة[١٧]. وبصرف النظر عن تاريخ الأوبئة على مَرّ العُصُور، إلا أنها في ظل التقدُّم العِلْميّ والتكنولوجيّ باتت أكثر خطورة، لا سيَّما في ظل هذا الصراع السياسيّ والاقتصاديّ الضخم والقوة المُفرطة وغير المحدودة، ولا يزال العِلْم هو الوحيد القادر على إخراج هذه القوَّة وتوجيهها، سواء لخدمة البشريَّة ورفاهيتها أو لتدمير البشريَّة[١٨]. ولا مناص من القول بإن هذه الجَائحَة وَضَعَت الإنسان في عُريٍّ تام مع ذاته، أفقدته الثقة بمجمل اليقينيَّات التي تناثرت معها كل حسابات الإنسان، وبثَّت الخوف والذُّعر من المجهول في أذهان المواطنين. فالإنسان الذي يتبجَّح بقدراته الفائقة وسيطرته على الطبيعة من حوله، أصبح لا يعلم إلى أين مصيره؟ أصبح يختبئ خلف الأبواب خوفًا من فيروسٍ مجهريٍّ[١٩]، تُراوضه مشَاهِد تاريخيَّة وكم من الأزمات إزاء الأوبئة على مَرّ التاريخ.

ناهيك عن ذلك، كَشَفَت الجَائحَة عن مدى هشاشة الأنظمة السياسيَّة والاقتصاديَّة والصحيَّة، فكم من المُدُن الشَاهِقَة والأسواق الضخمة، وأحدث الوسائل التكنولوجيَّة، والتواصل الاجتماعيّ، والطائرات والسُفُن العملاقة على أحدث طراز، والمستشفيات المُزوَّدة بأحدث مُستجدَّات العصر.. وإلخ! إلا أن كل هذا لا يبدو سوى غطاءٍ مبرقش أنيق لأنظمة باتت هشّة ضعيفة كَشَفَ عنها الغطاء، "فيروس" ضعيف لا يستطيع حتى أن يطير في الهواء، فبعد شهرين من ظهور الوباء أعلنت بعض الموسَّسات الكُبرى والشركات والمصانع عن إفلاسها[٢٠]. ورغم أننا في القرن الحادي والعشرين، وما يشهده العِلْم من إعجازٍ في معظم أنحاء العَالَم والدنيا: التقدُّم الطبيّ الدوائيّ، وأحدث وسائل التكنولوجيا، والتعاون الدوليّ. بتنا جميعًا مع كل هذا في يقينٍ

(١٥) صلاح عثمان، فيروس كورونا: عندما تكون مكافحة المرض أسوأ من المرض ذاته (مجلة شجون عربية، مركز بيروت لدراسة الشرق الأوسط، ٦ يونيو ٢٠٢٠) ص٢

(١٦) المرجع نفسه، ص٣

(١٧) ناريمان العسكري، الأبعاد الفلسفية والفكرية للأوبئة من خلال روايتي الطاعون والعمى (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ قطر، ٢٠٢١) ص٦

(١٨) جميل أبو العباس، فلسفة علم الأوبئة: جائحة كورونا (كوفيد ١٩) (دار المثقف، القاهرة، ٢٠٢١) ص٨

(١٩) ناريمان العسكري، الأبعاد الفلسفية والفكرية للأوبئة، مرجع سابق، ص٧

(٢٠) جميل أبو العباس، فلسفة علم الأوبئة، مرجع سابق، ص ٩

أننا لم نَعُدّ نمُت جراء الأوبئة، ولكن ما بين طرفة عين وانتباهتها يُغيِّر الله من حالٍ إلى حال. العاصفة هبَّت على العَالَم بأسره بلا استثناء، والجميع في انتظار هدوء العاصفة، حتى يتسنَّى لنا مرَّة أخرى العودة إلى العَالَم الذي عرفناه. ينتاب الجميع الشَّوق للعودة إلى مُتَع الحياة العاديَّة البسيطة، ورغم وعي الكثير منا أنه لا عودة للوراء، فإن المُقاومة والتصدِّي للتغيُّر لا تزال مستمرة، ولا زال السؤال القائم في الأذهان: هل ما نشهده هو قرن جديد يُناضِل من أجل أن يُولد؟ أم هي الحرب البيولوجيَّة من أجل التصارُع على القوى العُظمى؟ أم هي المؤامرة على البشريَّة؟ أم هو عقاب إلهيّ للبَشَر؟[٢٢].

حين يعجز العلماء عن الإجابة والسَّاسة عن التبرير والدُعاة عن المواساة، فإنه حريٌّ بنا أن نتطرَّق إلى الفَلْسَفة والفلاسفة، تلك المنطقة الفِكْريَّة التي أهملها الكثير منا[٢٢]، عامدًا بفِكْره إلى تأمُّل نتاج الإنسانيَّة، مُبتَعِدًا عن ميادين الفَلْسَفة الخاصة، مُبرِّرًا ذلك بأن الفَلْسَفة تزج بنا في متاهاتٍ فِكْريَّة وتساؤلاتٍ قد لا نجد لها أجوبة مُباشِرة، لذا أصبحت اهتمامات الفِكْر المُعاصِر تخلو من تلك المواضيع الجوهريَّة، كالوجود الإنسانيّ والقلق والعبث.. إلخ[٢٣]. إلى أن جاءت جَائحَة كوفيد- ١٩ وكَشَفَت مدى عجز الطُرُق العِلميَّة والتجريبيَّة عن تقديم الأجوبة المُقنِعَة لتلك التساؤلات المُلازِمَة للجَائحَة، ولكن في حالة العجز هذه كما قال كارل ياسبرز Karl Jasper: "ليس على المرء سوى خيارين لا ثالث لهما، إما أن يستسلم لأمواج اليأس العاتية، أو يتوضَّأ من أنهار الحكمة التي تناسبها ردحًا طويلًا من الزمن"[٢٤].

وطبيعة الحال وجَّهت الجَائحَة أنظار المُشْتَغِلين بالفَلْسَفة والعُلوم الإنسانيَّة، بل وأرغمتهم على إعادة التَّفكير في العديد من الظواهر، كالمرض والصحة، والعَلاقات بين الدُّول، والتغيُّرات التقنيَّة، والبيئة والتغيُّرات المناخيَّة، والمصير الإنسانيّ عمومًا[٢٥]. فقد شَهَدَت الساحة الفَلْسَفيَّة جُهْدًا غير مسبوقٍ في تقديم محتوى فَلْسَفيّ يتناول الجَائحَة من كافة جوانبها، سواء من الناحية الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والصحيَّة.. إلخ، أو من خلال التباعُد الاجتماعيّ، والضغط على الأنظمة الصحيَّة، وسياسة حَظْر التَّجوُّل.. إلخ. وليس هذا فقط، بل اتجه الفلاسفة والمفكّرون إلى تفسير

(21) Beer Francis A, Hariman Robert, *Learning from The Pandemic! Learning from: Covid 19 and Cata Strophic Epistemology, Social Epistemol Review and Reply Collective, U.S.S, 2020, No. 5, Vol, 8*

(٢٢) جميل أبو العباس، فلسفة علم الأوبئة، مرجع سابق، ص ٩

(٢٣) ناريمان العسكري، الأبعاد الفلسفية والفكرية للأوبئة، مرجع سابق، ص٦

(٢٤) جميل أبو العباس، فلسفة علم الأوبئة، مرجع سابق، ص ٩

(٢٥) رشيد بو طيب، الفلسفة والجائحة والمرض (المركز العربي ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ٢٠٢١) ص٩

انتشار الوباء من خلال إظهار العَلاقة بين الوباء ونظرية المؤامرة، وبين الوباء والعولمة، وذلك بعد أن أمضت الفَلْسَفة وقتًا طويلًا بعيدة عن العُلُون الإنسانيَّة[٢٦].

إن الباحث والمتأمِّل في التاريخ البشريّ، يجد أن الفِتَن والمؤامرات موجودةٌ منذ أن خَلَقَ اللهُ تعالى آدم عليه السَّلام، وأمره أن يسكن الجنَّة هو وزوجه، وأن يأكلا من ثمارها ما عدا تلك الشجرة التي نهى الله عنها، إلا أن آدم عليه السَّلام لم يَسْلَم من حقد العدو "إبليس"، والذي استغل إنسانيَّته وراح يُوسوس له أن يأكل من تلك الشجرة، وبثَّ في نفسه أنها قد تكون شجرة الخُلْد التي يتمنَّاها آدم عليه السَّلام، وهنا أخطأ آدم عليه السَّلام وعصى ربَّه، وأخطأ إبليس بكبريائه، فالطريق إلى الجنَّة هو طاعة الله وعداء الشيطان. وهذه أوَّل مؤامرة في تاريخ البشريَّة على سيد الخَلْق ودُريَّته من بعده[٢٧]. وإلى وقتنا هذا ونظرية المؤامرة تكمُن وراء كل شيءٍ، حتى الهواء الذي نتنفَّسه تمتد لتصل إليه فيتحوَّل إلى ضبابٍ بفعل تأثير سُحُب الكيمتريل، والطعام الذي نأكله، وقد تلاعبت به شركة مونسانتو، والدواء الذي نتناوله وقد دُسَّت فيه سمومٌ قاتلة، والماء الذي نشربه وقد وُضِعَت فيه أملاح الفلوريد التي تُؤثِّر في العقل[٢٨].

وقد وُرِدَ مفهوم المؤامرة في العديد من قواميس اللُّغة، ففي قاموس "أكسفورد" جاء مفهوم المؤامرة على أنها ظاهرةٌ مُعيَّنة، أو حدثٌ مُعيَّن ناتج عن مؤامرة بين أطرافٍ ذات مصلحةٍ. وفي قاموس "ميريام وبستر الجامعيّ" قدَّم تقريبًا نفس التعريف، غير أنه أضاف إيماءة غامضة تفيد أن المتورِّطين قد يكونون ذوي نفوذٍ. فالمؤامرة نظريَّةٌ تُفسِّر حدثًا ما أو مجموعة من الظروف بأنها ناشئة عن خُطَّةٍ سريعة يضعها متآمرون ذوو نفوذٍ في كثيرٍ من الأحيان[٢٩]. ونظرًا لاستمرار انتشار جَائحَة كوفيد- ١٩ في مسيرته العالميَّة التي لا هوادة فيها، جاء البعض من كتابات الفلاسفة والمُفكِّرين ما يؤيِّد القول بإن جَائحَة كورونا جزءٌ من خُطَّةٍ تحويها أجندةٌ سياسيَّة واقتصاديَّة عالميَّة خَفِيَّة، مؤكِّدين بذلك أن الفيروس هو من سُلالة الفيروسات المُخلَّقة التي صُنِعَت داخل مُختبَرَات بيولوجيَّة[٣٠].

وفي الصدد نفسه انتشرت السيناريوهات المُمزَّقة عن الأصول الحقيقيَّة للوباء، والعلاجات المُمكِنَة عبر وسائل التواصل، لتُهيمن بدورها على السَّاحة الإخباريَّة، ورغم أن هذه السيناريوهات تُعَدّ نتاجًا لتقاريرَ حقيقيَّةٍ، فإن العديد منها والمُتداوَل عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ يُعَدّ نتاج التكهُّنات والتَّفكير بالتَّمني

(٢٦) عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة كورونا (المركز العربي ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ٢٠٢١) ص١٦٤

(٢٧) فاروق عمر العمر، المؤامرات حقائق أم نظريات (مطابع الأهرام التجارية، مصر، ٢٠٠٧) ص١٨

(٢٨) روب براذرتون، عقول متشككة: لماذا نُصدق نظريات المؤامرة، ترجمة: هاني فتحي سليمان (مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٢١) ص١٢

(٢٩) المرجع نفسه، ص٦٤

(٣٠) صلاح عثمان، كورونا نظرية المؤامرة (مركز المحور للبحوث والدراسات، إسطنبول، تركيا، ٢٠٢٠) ص٢

والخيال التآمُريّ. ونظرًا لعدم وجود إجماع عِلْميّ وحكوميّ قوي حول كيفية مُكافحة الفيروس، يلجأ الناس إلى تلك المصادر الفيروسيَّة لمُشاركة أفكارهم وخبراتهم ومناقشة الرُّدُود المُحْتَمَلة. في الوقت ذاته تقوم وسائل الإعلام بالتوجيه نحو الإجراءات والتدابير اللازمة للأفراد في جميع أنحاء العَالَم، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المعلومات التي تُحفِّز هذه الإجراءات مُتشابِكَة بشكلٍ وثيقٍ مع سيناريوهاتٍ غير رسميَّة وربما مُضَلِّلة على مواقع التواصُل الاجتماعيّ[٣١].

من هذا المُنْطلق تبدأ معالم المؤامرة في الكشف عن نفسها، بما تُثيره في نفوس الناس بنَشْر هذه الأخبار المغلوطة، والمُبالَغَة في أرقام الإصابات والوَفَيَات، لا سيَّما أنه خُلِطَ بين الإصابة بالإنفلونزا العاديَّة والكورونا، فكل حالات الوَفَيَات داخل المستشفيات ودور الرعاية يتِمّ إثباتها ضمن وَفَيَات كورونا، في حين أن تقارير مُنظَّمة الصحة العالميَّة (WHO) السَّنويَّة تؤكِّد أن الإنفلونزا العاديَّة تحصد عددًا من الإصابات والوَفَيَات يفوق بمراحل فيروس كورونا[٣٢]. وناهيك عن ذلك، فالعديد من الشَّواهِد تؤكِّد أن هناك تآمرًا على البشريَّة، فعلى سبيل المثال، معهد البحوث الطبيَّة التابع للجيش الأمريكيّ للأمراض المُعدِيَة (USA MRIID)، وهو مُختَبَر عسكريّ يعمل على الفيروسات والأبحاث البيولوجيَّة في فورت ديتريك بولاية ماريلاند "Mary Land" أُغلِقَ في يوليو من العام الماضي، وأوقف دراسة العوامل السُّمُوم البيولوجيَّة المُختَارَة (BSATS)، وبسبب بعض التسريبات وذلك في مارس ٢٠٢٠ قُدِمَت عريضة على موقع البيت الأبيض تُطالِب بتوضيح إغلاق معهد البحوث الطبيَّة (USA MRIID)، ولمُعالجَة القلق العام سُمِحَ للمعهد باستئناف التشغيل الكامل في إبريل ٢٠٢٠ في حين أن الولايات المُتحدَّة لديها العديد من المُختَبَرَات البيولوجيَّة في البلاد وخارجها، لكن الإغلاق المفاجئ وإعادة الفتح أثار العديد من التساؤلات، بما في ذلك السؤال الأساسي: لماذا تظل الولايات المُتحدَّة مُتحفِّظة بشأن وظيفة هذه المعامل البيولوجيَّة واستخدامها وسلامتها؟[٣٣].

الشَّاهِد الثاني: "عدوى القُرمُزيّ"، وهو تمرينٌ أجرته وزارة الصحة والخدمات الإنسانيَّة الأمريكيَّة من يناير إلى أغسطس ٢٠١٩، يُحاكي تفشِّي الوباء الوهميّ الذي شَارَك فيه مجموعة من السَّائحين الذين يزورون الصين ويُصَابون بالعدوى قبل العودة إلى بُلدانٍ مختلفة بما في ذلك الولايات المُتحدَّة، وإلى جانب ذلك في أكتوبر ٢٠١٩ قام تمرينٌ وبائيٌّ رفيع المستوى يُسمَّى Event201 بُمحاكَاة

([31]) Shahsa vari Shadi, *Conspivary in The Time of Corona: automatic detection of emerging Covid- 19 Conspiracy Theories in Social media and the news* (Springer, U.S.A, 2020) P. 280

([٣٢]) صلاح عثمان، كورونا نظرية المؤامرة، مرجع سابق، ص١

([33]) Altaf Tajammul, *Covid- 19: Global Challenge, National Response* (Jastor, U.S.A, 2020) P. 179

سيناريو في الولايات المُتحدَّة أن فيروسًا خياليًّا يُسمَّى فيروس كورونا المُتلازمَة الرئويَّة الحادة (CAPS)، والذي يُسبِّب أعراضًا أكثر حِدَّة من متلازمة الجهاز التنفُّسيّ (سارس)، ويُنتَقَل عن طريق التنفُّس، وبالنظر إلى حقيقة أن الفيروس المُحاكي CAPS يُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ Covid- 19، يضطر المرء إلى الاعتقاد بأن الأخير ليس مجرَّد مُصادَفَة، وفي الوقت ذاته صَرَّح المُتحدِّث باسم وزارة الخارجيَّة الصينيَّة في تغريدةٍ له في ١٢ مارس ٢٠٢٠، من المُحتَمَل أن الجيش الأمريكيّ قد جَلَبَ الفيروس إلى ووهان أثناء المناورات العسكريَّة العالميَّة المُشتَرَكة[٣٤].

الشَّاهِد الثالث: أن المركز الوطنيّ الأمريكيّ للاستخبارات الطبيَّة (NCMI) ووكالات المخابرات الأمريكيَّة أرسل تحذيراتٍ مكثَّفة إلى الرئيس ترامب مرارًا وتكرارًا في الفترة من نوفمبر ٢٠١٩ إلى فبراير ٢٠٢٠ بشأن احتمال تفشِّي الوباء وانتشاره، وهذا يقودنا إلى التساؤل: لماذا لم تتَّخِذ القيادة والسُّلُطات الأمريكيَّة تدابير وقائيَّة في الوقت المناسب من تفشِّي المرض رغم التحذيرات المُبكِّرة؟ لا سيَّما تحذير بيل جيتس في ٢٣ إبريل ٢٠١٥ في (TED Talk)، وتوقُّعه بقتل أكثر من عشرة ملايين شخصٍ في العُقُود القليلة المُقْبِلة، وحَثَّ على زيادة الاستثمار في الأوبئة واللقاحات مُحَذِّرًا بأن العَالَم ليس جاهزًا للوباء القادم[٣٥]، ولأن نظريات المؤامرة تربط المجالات الموجودة مُسْبَقًا بالنشاط البشريّ من خلال التكهُّنات الإبداعيَّة التي غالبًا تُقدَّم على أنها تستند إلى المُنظِّر في الوصول إلى المعرفة المُخيفة، فعلى سبيل المثال، الأُطُر السَّرديَّة التي نُبيِّنها سيكون لها مجموعة من العقد والحواف المُقَابِلة للمجالات المختلفة، ونظرًا لأن هذه المجموعات مرتبطة بشكلٍ مُكثَّف بداخلها مع وجود مجموعة مُتَفَرِّقة من الحواف تربطها بمجموعةٍ أخرى، فمثلًا سيكون لمجال الصحة العامة روابطٌ كثيفة بين العقد الفرعيَّة، مثل الأطِبَّاء والمستشفيات والاتصالات (السلكيَّة واللا سلكيَّة) مع الوحدات الفرعيَّة، مثل 5G مع الأبراج الخلويَّة. إن التطرُّق إلى هذه المجتمعات المختلفة يُحاكي استكشاف نظرية المؤامرة[٣٦].

يكشف الإطار السَّرديّ، الذي يتألَّف من شبكات الفاعلين والعَلاقة بين الفاعلين جنبًا إلى جنب مع البيانات الوظيفيَّة الأخرى، عن جوانبٍ من نظريَّات المؤامرة، بما في ذلك العقد الفرعيَّة المُهَدِّدة التي حددها مُنظِّرو المؤامرة، والإستراتيجيَّات المُحتَمَلة التي يقترحونها للتعامل مع تلك التهديدات، على سبيل المثال، مجتمع الاتصالات يتكوَّن من عقدةٍ فرعيَّة (برج- خَطّ)، جنبًا إلى جنب مع عَلاقات svcop المُرتَبِطة بها (5G) تكون مُميتَة، إذ إن حَرْق هذه الأبراج يعني تهديد رفاهية الإنسان من قِبَل (5G). وإستراتيجيَّة التعامل مع هذا التهديد هي: إحراق أبراج الخلايا (إستراتيجيَّة

(34) Ibid, P. 180
(35) Ibid, P.
(36) Ibid, P. 182

لحماية الناس من 5G القَاتِلَة "التهديد"). نظرًا لأن التهديدات غالبًا ما تتبعها إستراتيجيَّات، فإننا نعطي الأوَّليَّة لتصنيف التهديدات[٣٧]. وجدير بالذكر، أن نظريَّات المؤامرة تنمو وتزدهر في تلك البيئة ذات الثقة المُنخَفِضَة، فليس من المُستَغْرَب أن تتكاثر وتنتشر الجَائحَة نظرًا لعدم وجود إجماعٌ عِلْميٌّ حول انتشار الفيروس واحتوائه، أو على التداعيات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة طويلة المدى للوباء[٣٨].

وأخيرًا، يبقى التساؤل عن ما تهدف إليه المؤامرة هذه المرَّة؟ إنه ليس من الصعب أن نحصل على إجابةٍ بشأن هذا التساؤل، فمن خلال القراءة الأوَّليَّة للجَائحَة استطاع الفلاسفة الكشف عن أهم الأهداف الخَفِيَّة التي تكمُن وراء هذه المؤامرة، والتي تتحدد في:-

- **أولًا:** رغبة الحكومات أحيانًا في فرض السَّيطرة على الشُّعُوب، فتلجأ إلى عمليات التخويف وإثارة الرُّعْب في نفوس الناس.
- **ثانيًا:** استخدام الوسائل التكنولوجيَّة الحديثة بهدف المُراقَبَة، ورصد تحرُّكات الشُّعُوب وردود أفعالهم اتجاه القرارات السياسيَّة، وذلك عبر برامج التواصل الاجتماعيّ وغيرها.
- **ثالثًا:** إلغاء التعاملات النقديَّة (العملات الورقيَّة) واستبدالها بأنظمة الدفع الإلكترونيّ.
- **رابعًا:** التخلُّص من فئة كبار السِّنّ وأصحاب الأمراض المُزْمِنَة (الفئة غير المُنْتِجَة)، التي تُمثِّل عبئًا على النظام الرأسماليّ.
- **خامسًا:** القضاء على المشروعات الصغيرة[٣٩].

السبب الثاني في انتشار وباء كورونا، هو العَوْلَمَة "Globalization":-

ففي ظل انتشار الجَائحَة شاع الاعتقاد بأن العولمة تُعَدّ ضمن الأسباب التي ساعدت على انتشار الجَائحَة. والعولمة لفظٌ تُدُوولَ في السنوات العشر الأخيرة بعد سقوط الاتحاد السُّوفيتيّ، ورغم ذلك فإن الدلالة التي يشير إليها اللفظ ليست حديثة بالدرجة التي تُوحي بها حداثة هذا اللفظ. وتقوم فِكْرة العولمة على عِدَّة عناصر أساسيَّة، من بينها تفاعل الدُّول مع بعضها البعض، وذوبان الحدود الفاصلة بين الدُّول، وازدياد العَلاقات المُتبَادَلة سواء في تبادل السِّلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات، أو في تأثُّر أُمَّة بقيم وعادات غيرها من الأُمَم[٤٠]. وفي الوقت الي قضت فيه العولمة على الفوارق بين الدُّول وسهَّلت فيه حركة النقل

(37) Shahsa vari Shadi, *Conspivary in The Time of Corona: automatic detection of emerging Covid- 19 Conspiracy Theories in Social media and the news*, Op. Cit, P. 280

(38) Ibid, P. 281

(٣٩) صلاح عثمان، كورونا نظرية المؤامره، مرجع سابق، ص٣

(٤٠) جلال أمين، العولمة (دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨) ص١٧

والتجارة وانتقال الأفراد.. إلخ، ساعدت أيضًا على نقل الأوبئة والفيروسات بين الدُّول. ناهيك عن ذلك، فقد ساعدت العولمة الطبقة الغنيَّة من الأثرياء على احتكار موارد الدُّول مما أخَّر في مصلحة الدُّول الفقيرة، وليس هذا فحسب، بل ساعدت العولمة تلك الطبقة الغنية، والتي عُرِفَت بالراديكاليَّة، أن تُصبح المُتحكِّم في سياسات الدُّول، ومن ثَمَّ عدم إمداد المجتمعات بمستلزماتها في مواجهة الجَائحَة(٤١).

ومن الجدير بالذكر أن للفلاسفة دورًا مهمًا في إثارة التساؤلات المتعلِّقة بالحياة والوجود والوضع الإنسانيّ، وإمكانية ظهور نظام عالميّ جديد، والتقدُّم التقنيّ والتكنولوجيّ وتأثيره في الإنسان.. إلخ. ورغم غموض المعلومات المتوفِّرة حول الفيروس وعدم توافرها، فإن العديد من المُفكِّرين والفلاسفة يزعمون وبشدَّةٍ أن عصر ما بعد كوفيد لن يكون مُشابهًا لِمَا قبل كوفيد، وذلك لأن الأنظمة الفِكْريَّة التي حكمت العَالَم ستتغيَّر لا محالة، بعد أن أظهرت الجَائحَة مدى عُمْق هشاشة الإنسان وضعفه رغم ادِّعائه القُدْرَة على السَّيطرة على الطبيعة(٤٢). وتختلف العواقب الناتجة عن كوفيد- ١٩ من الناحية المفاهيميَّة والوجوديَّة عن أي عواقب واجهها المجتمع العالميّ من ذي قبل، فأحداثًا مثل جَائحَة كوفيد- ١٩ تُثير الاضطراب وتستدعي كل أنواع التحليل، كما أن الفوريَّة المُطْلَقة وحجم ما ينتج عنها يجعل من الصعب تمييز كل ما هو موجود بجانب ما هو واضح، وليس من المُبالَغ فيه القول بإن الاضطرابات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة لـ Covid- 19 تُعيد تشكيل المشهد الثقافيّ لدينا بشكلٍ أسرع من قدرتنا على فَهْم كل ما هو على المِحَكّ، لذا فمن الضروريّ أن نتراجع قليلًا ونحاول إرجاع قُدرتنا التأثيريَّة التي أزاحها الوباء ومعرفة سبب إزاحتها، وذلك إذا أردنا أن نفهم بصورةٍ كاملة تداعيات تلك الجَائحَة(٤٣).

وعلى غرار ما يُسمِّيه آلان باديو* Alain Badiou (١٩٣٧) "حَدَثًا"، يُمكن تفسير ذلك بشكلٍ بنَّاءٍ. فالحدث كما يرى باديو شيءٌ لا يُمكن التنبُّؤ به في خصوصياته المحليَّة، فهي مفتوحة بشكلٍ جذريٍّ من حيث آثارها التحويليَّة المُحْتَمَلة، لكن التحدِّي المُباشِر الآن هو إذا كان هذا الوباء الحاليّ يُعَدّ بالفعل "حدثًا" بالمعنى الذي صوَّره باديو، فلن يُدْرَج أو يُحدَّد في السجلات الرسميَّة، لكن هذا ليس محور التركيز، فمحور التركيز هو المعنى الأكبر لكوفيد- ١٩، ويعني به باديو انفصال النسيج الاجتماعيّ

---

(41) Keohan Robert, Nye Joseph, *Golobalization* (Foreign Policy, Washington, U.S.A, 2000) P. 14

(٤٢) آلان باديو، كورونا من منظور فلاسفة العصر: حول جائحة الكورونا فيروس، ترجمة: جميلة حنيفي (كتب كوة، المغرب، ٢٠٢١) ص١٢

(43) Howard Jason J, *Something Eventful This Way Coms: On Pandemics, events, and Copitalism in "Special Issue: Pandemic Politics* (Academia, South African, 2021) P. 83

* آلان باديو: فيلسوف فرنسي وأستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبيَّة سابقًا، ومؤسِّس كلية الفلسفة في جامعة باريس. كَتَبَ عند العديد من المفاهيم، مثل الوجود والحقيقة، والحداثة وما بعد الحداثة. للمزيد انظر: www.marefa.org تم الدخول على الموقع بتاريخ: ٢٠٢١/١٢/٢٥

للجنس البشريّ، وفي هذا الانفصال يُمكننا أن نعثر على نُسَخٍ أخرى من أنفسنا وعوالمنا السياسيَّة نتيجة الالتقاء بين التجليَّات الإنسانيَّة وتلك التحويلات النموذجيَّة، وهذا هو الجانب الآخر للوباء: بصيص أملٍ وسط الموت والحزن والقلق(٤٤).

أما على المستوى الإجرائيّ للجَائحَة، يرى باديو أن هناك نوعًا من الافتقار إلى الجدَّة حول وضعنا في ظل الجَائحَة، ليس فقط في التعامل مع انتشار الوباء، ولكن في قدرتنا على الاستجابة كمجتمعٍ عالميٍّ. نحن نشهد كيف تبدو الإرادة العالميَّة لتغيير الوضع الراهن، ومن المؤسف أننا نرى ذلك في الرأسماليَّة القائمة على مبدأ "دعه يعمل"، على ما يبدو أنها وضعت نفسها في مأزقْ مؤقَّت في ظل تباطؤ دوائر التكامل وإغلاق السفر، ومن ثَمَّ تقليل حركة التجارة والبيع والشراء بين الدُّول القوميَّة(٤٥).

وعلى العكس من خطورة الحدث، فإن باديو يؤكّد أن الجَائحَة التي تُحاصِر العَالَم ليست بجديدة، إذ سبق أن البشريَّة شَهَدَت أحداثًا مُشابِهَة من ذي قبل، فعلى سبيل المثال، إنفلونزا الطيور، والإيبوالا، والسارس، إلى العديد من الأنواع الأخرى التي لم تَعُد الضِدّ حيويَّات قادرةً على علاجها(٤٦). وناهيك عن هذا، فإن المُسمَّى الحقيقيّ للوباء "سارس- كوف- ٢ SARS- COV- 2"، أي المُتلازمَة التنفُّسيَّة الحادة، هي بمثابة السُلالة الثانية أو التطوُّر الثاني لسارس كوف- ١ "SARS- COV-1"، الذي انتشر في ربيع عام ٢٠٠٣، فمن المُفترض أنه لا توجد صعوبة تكمُن في تحديد الوباء ومعرفة نوعه ومصدره وموقعه أيضًا، فهو لا يتعلّق بظهور شيءٍ جديد غير مسبوقٍ، وهذا على حَدّ تعبير باديو يدل على عدم تحويل البحث العِلميّ الذي كان سيُتيح للعَالَم الطبيّ أدوات عمل حقيقيَّة ضِدّ السارس- ٢ "SARS- COV-2"(٤٧).

لعله من المفيد أن نؤكّد أن باديو في قراءته للجَائحَة على المستوى النظريّ والفَلْسَفيّ استخدم المنهج الديكارتيّ كوسيلةٍ لجمع الأفكَار البسيطة، وصولًا إلى الأشَدّ تعقيدًا، وخصوصًا أن الوباء يُشكّل نقطة فاصلة بين مجالي الطبيعة والاجتماعي البشريّ، فمن خلال نقطة التقاطع هذه يُحدِّد باديو نقطة الارتكاز الأوَّليَّة للوباء، وهي أسواق مدينة ووهان التي عُرِفَت كمصدرٍ كبيرٍ للتلوث، ومن هنا يتبدَّى المسار الطبيعيّ للوباء في حركة الفيروس من الحيوانات إلى البَشَر، أما المعطى البشريّ فيُمثّله باديو بمحاولة صعود الصين كقوَّةٍ عُظمى على المسرح الدوليّ، وما ينتج عن ذلك حضورها المؤثّر في السوق العالميَّة، وبهذا يدعونا باديو إلى فَهْم الجَائحَة وَفْق اثنين من السيناريوهات، الأوَّل: وهو سوق الصين التقليديَّة التي تعتمد على مجموعةٍ من الأنشطة والمُمارسات القديمة في الاحتفاظ بالحيوانات في مدينة ووهان، وإقبال

(44) Ibid, P. 84

(45) A. Badiou, *Being and event: Trans Oliver Fel Tham* (Continuum, London, 2012) P. 15

(٤٦) عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة كورونا (المركز العربي للأبحاث والسياسات، قطر، ٢٠٢١) ص١٦٧

(٤٧) آلان باديو، كورونا من منظور فلاسفة العصر، مرجع سابق، ص١٢

الأشخاص على السوق في ظل ظروفٍ غير صحيَّةٍ. والثاني: السوق ذاتها التي تُمثِّل جزءًا من نظامٍ اقتصاديٍّ كوكبيٍّ Planetary يتلقي فيه العَالَمان القديم والجديد(٤٨). وخلاصة القول: إن التغيُّر السياسيّ الفعليّ طبقًا لباديو، لن يتِمّ إلا من خلال التوقُّف عن الإيمان بقُدرة الجَائحَة وحدها على إحداث التغيير في بنية المنظومة السياسيَّة القائمة، كما يجب أن يُؤسَّس لمشروعٍ شيوعيٍّ يتجاوز التجربتين الشيوعيتين السابقتين(٤٩).

لا مناص من القول: إن جَائحَة الفيروس التاجيّ وكوفيد- ١٩ سيترتب عليها تغيُّرات هائلة في تاريخ العِلْم "دعنا نُغيِّر الطريق". كانت هذه دعوى أحد الفلاسفة المُعاصِرين، وهو إدجار موران* Edgar Morin (١٩٨٢)(٥٠). والذي قدَّم وجهة نظره اتجاه الجَائحَة كفيلسوفٍ مهتَّم بالعولمة وما يترتب عليها من أزمات تُحتِّم على الفلاسفة إيجاد حلول إزاء تلك المشكلات المتعلِّقة بأنماط حياتنا، والروابط الأسريَّة والإنسانيَّة، والمصير البشريّ المشترك.. وهكذا(٥١). وفي هذا الإطار تناول الفيلسوف الجَائحَة من بُعدين، الأوَّل: أن الجَائحَة تبدأ من حالة الوجود إلى عدم اليقين في حياتنا. الثاني: من الأبعاد الأخلاقيَّة للتضامُن إلى أوجه القصور في السياسة بشكلٍ عام. وفي مواجهة مثل هذا العقل المتشعِّب، سيطوِّر الكثيرون آراءً مختلفة من خلال تحديد حوار الأضداد التي تعود جذورها إلى أصلٍ بيولوجيٍّ مجازيٍّ: صراع المستضدات والأجسام المُضادة التي تُحارب البحث العِلْميّ بشكلٍ يائسٍ ضِدّ الزمن(

تعقيب:-

تناول الباحث في هذا البحث "جَائحَة كورونا بين التَّفسير العِلْميّ والفَلْسَفيّ"، واستعرض ذلك من خلال التَّفسيرات العِلْميَّة لجَائحَة كورونا، والتي كَشَفَ الباحث فيها عن أهم الأسباب التي قد تكون وراء تفشِّي جَائحَة كورونا، وذلك من خلال الرجوع إلى تحليلات عِلْم الوراثة لـ SARS- COV2، والتي أكَّدت بشكلٍ كبيرٍ أن الفيروس ظَهَر من دورقس حيوانيَّة المنشأ، وانتشر من الإنسان إلى الإنسان، وأن الأصل الحيوانيّ المنشأ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بسوق الحيوانات الرطِبَة في يونان، كما أكَّد الباحث أن هناك من الآراء العِلْميَّة التي تؤكِّد أنه على مدار الأعوام الماضية عَبَرَ

(٤٨) عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة كورونا، مرجع سابق، ص١٦٨

(٤٩) المرجع نفسه، ص١٧٠

* إدجار موران: تخرَّج في كلية الحقوق في باريس، وحصل على الدكتوراة فيها. شَارَك في الحَرْب الثانية وانضم للمُقاوَمَة الفرنسيَّة، وفي عام ١٩٥٤ أسَّس مجلة Arguments، وأصدر العديد من الأعمال الأدبيَّة والعِلْميَّة، مثل "الأحمق"، و"إلى أين يسير العَالَم". للمزيد انظر: www.manhowa.com تم الدخول على الموقع بتاريخ: ٢٠٢١/٢/٢٨

(50) Morin Edgar, Cortina Raffaello, *Let's Changer road* (MJCP, Italy, 2020) P. 2

(٥١) إدجار موران، حول جائحة كورونا ومستقبل الإنسانية، ترجمة: عبد الباسط عبادة (بوابة إفريقيا الإخبارية، ٢٠٢٠/٣/٢٤)

العديد من فيروسات كورونا حاجز الأنواع إلى البَشَر، كما كَشَفَت دراسة أخرى عن التعايُش المتنوِّع لفيروسات SARS- COV في مجموعات الخفافيش.

ثُمَّ تناول الباحث بعد ذلك الرؤى الفَلْسَفيَّة لجَائحَة كورونا، وأوضح خلالها أن الوباء كَشَفَ اللِّثام عن العديد من الرؤى والخبايا التي حجبتها قوانين الرأسماليَّة التي حوَّلت الفرد إلى كائنٍ غريبٍ عن ذاته. كما أشار إلى أن الجَائحَة قامت عرَّت الأنظمة السياسيَّة، وعلى رأسها العولمة. كما أشار الباحث إلى بعض المؤامرات ضِدّ البشريَّة والقضايا الأخلاقيَّة المُثارة في الواقع خلال تلك الجَائحَة، وأجاب عن بعض التساؤلات المتعلّقة بالحياة والوجود والوضع الإنسانيّ.

قائمة المصادر والمراجع:-

أولًا: المصادر والمراجع الأجنبية:-

1. A. Badiou, *Being and event: Trans Oliver Fel Tham* (Continuum, London, 2012) P. Altaf Tajammul, *Covid- 19: Global Challenge, National Response* (Jastor, U.S.A, 2020) P. 1795
2. Hui Davids, *The Conting 2019- ncov epidemic Threat of novel corona viruses to global health the latest 2019 novel corona virus out break in Wuhan , China* (EISEVIER, Nether Lands, 2020) P. 264
3. Hui Davids, *The Conting 2019- ncov epidemic Threat of novel corona viruses to global health*, Op. Cit, P. 264
4. Howard Jason J, *Something Eventful This Way Coms: On Pandemics, events, and Copitalism in "Special Issue: Pandemic Politics* (Academia, South African, 2021) P. 83
5. Kumar Swatantra, Nyodu Rajni, Maurya Vimalk, Saxena Shailendrak, *Morphology, Genome Organization, Replication, and Pathogenesis of Severe Acute Respiratory Syndrome Coronavirus, [SARS- COV-2] in "Medical Virology: from Pathogenesis to Disease control Corona Virus Disease 2019 Epidemiology, Pathogenesis, Diagnosis and Therapeutics* (Springer, U.K, 2020) P. 25
6. Keohan Robert, Nye Joseph, *Golobalization* (Foreign Policy, Washington, U.S.A, 2000) P. 14
7. Paraguassu Ebercoelho, Junchen Hui, Zhoufei, Wang Zhexue Meiyun, *Corona Virus and Covid- 19: The Latest News and View from The Scientific Community about The New Corona Virus and Covid- 19* (Bjihs, Brazil, 2020) P. 99
8. Saxena Shailendrak, Kumar Swatantra, Mavrya Vimalk, Sharma Raman, Dandu Himan Shur, Bhait Madanl B, *Current in Sight into The Novel Corona Virus Disease 2019 in "Medical Virology: From Pathogenesis to Disease Control Corona Virus Disease 2019* (Epidemiology, Pathogenesis, Diagnosis and Thera Peutics, Spiringer, U.K, 2020) P. 4
9. Sirotkin Karl, Sirotkin Dan, *Might SARS- COV-2 Have Arisen Via serial Passage Through an Animal Host or Cell Culture?* (Wiley, U.S.A, 2020) P. 11

10. Saxena Shailendrak, Kumar Swatantra, Mavrya Vimalk, Sharma Raman, Dandu Himan Shur, Bhait Madanl B, *Current in Sight into The Novel Corona Virus Disease 2019*, Op. Cit, P. 4
11. Shahsa vari Shadi, *Conspivary in The Time of Corona: automatic detection of emerging Covid- 19 Conspiracy Theories in Social media and the news* (Springer, U.S.A, 2020) P. 280
12. Shahsa vari Shadi, *Conspivary in The Time of Corona: automatic detection of emerging Covid- 19 Conspiracy Theories in Social media and the news*, Op. Cit, P. 280
13. Upadhyay Sighn. K, A.K, Iram Ansari, Sanower, *Covid- 19 Adreaded Pandemic Disease* (Losr JPBS, New York, 2020) P. 38
14. Yadav Tushar, Saxene Shailendrak, *Transmission Cycle of SARS- COV and SARS- COV2 in "Medical Virology: From Pathogenesis to Disease Control Corona Virus Disease 2019* (Epidemiology Pathogensis, Diagnosis and Thera Peutics, Springer, U.K, 2020) P. 38
15. Yadav Tushar, Saxene Shailendrak, *Transmission Cycle of SARS- COV and SARS- COV2*, Op. Cit, P. 37

ثانيًا: المراجع العربية:-

١. آلان باديو، كورونا من منظور فلاسفة العصر: حول جائحة الكورونا فيروس، ترجمة: جميلة حنيفي (كتب كوة، المغرب، ٢٠٢١) ص١٢
٢. جميل أبو العباس، فلسفة علم الأوبئة: جائحة كورونا (كوفيد ١٩) (دار المثقف، القاهرة، ٢٠٢١) ص٨
٣. رشيد بو طيب، الفلسفة والجائحة والمرض (المركز العربي ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ٢٠٢١) ص٩
٤. روب براذرتون، عقول متشككة: لماذا نُصدق نظريات المؤامرة، ترجمة: هاني فتحي سليمان (مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٢١) ص١٢
٥. صلاح عثمان، كورونا نظرية المؤامرة (مركز المحور للبحوث والدراسات، إسطنبول، تركيا، ٢٠٢٠) ص٢
٦. صلاح عثمان، فيروس كورونا: عندما تكون مكافحة المرض أسوأ من المرض ذاته (مجلة شجون عربية، مركز بيروت لدراسة الشرق الأوسط، ٦ يونيو ٢٠٢٠) ص٢
٧. عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة كورونا (المركز العربي للأبحاث والسياسات، قطر، ٢٠٢١) ص١٦٧
٨. عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة كورونا (المركز العربي ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ٢٠٢١) ص١٦٤
٩. فاروق عمر العمر، المؤامرات حقائق أم نظريات (مطابع الأهرام التجارية، مصر، ٢٠٠٧) ص١٨
١٠. ناريمان العسكري، الأبعاد الفلسفية والفكرية للأوبئة من خلال روايتي الطاعون والعمى (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ قطر، ٢٠٢١) ص٦